20090414-0001-2
نسخة للطباعة – As-Safir Newspaper

السفير

محلّيات

تاريخ العدد ٢٠٠٩/٠٤/١٤ العدد ١١٢٦٩

تجمّع «وحدتنا خلاصنا» يحيي ذكرى الحرب بتواقيع السياسيين على وثيقة انتخابية

أهالي المخطوفين والمفقودين: يحق لنا أن نرشّ الورد على أضرحة موتانا

جهينة خالدية

لا يتعب هؤلاء من مخاطبة الذاكرة. لا يتعبون من استرجاعها لتكون مرآة للمستقبل، ورادعاً لتكرار الماضي. هم أعضاء تجمع «وحدتنا خلاصنا» الذي يضم، إلى جانب جمعية «فرح العطاء»، ٢٢ جمعية وبعض الأفراد، والكل يعمل لتحصين السلم الأهلي. بالأمس، على مدى نهار طويل، أمسكوا بيد الذاكرة ورفعوها عالياً، عسى أن تُنقى.. عسى أن يفسح فيها مجال للمواطنية، للعيش المشترك. عسى أن تلغى منها كلمة بأحرف ثلاثة «حرب». وتمحى منها رغبة الآخر بإلغاء الآخر، ورفضه، ونفيه وقتله، باسم لبنان، وباسم الدفاع عنه.

جلسوا، بالمئات. شباب وأطفال، إعلاميون ورجال دين، أمام المتحف الوطني، النقطة التي خطف عندها مئات من أبناء الوطن ولم يعودوا حتى الآن، ولم تعد روائحهم وابتساماتهم إلى أحضان أمهات ما زلن ينتظرن. أمهات جلسن في مقدمة الحضور، وحملن صور أبناء لم تفارقهن أصلاً، ولن تفعل. أمهات يدركن أنه مضى على آخر طلقة رصاص في الحرب الأهلية في لبنان ١٩ سنة.. يبدو أنها لم تكن كافية ليعترف أمراء الحرب بجرائمهم وبمصير من خطفوهم وسلبوهم وأخذوهم بعيداً من عائلاتهم.

أمام المتحف مباشرة، جلست رئيسة لجنة أهالي المفقودين والمخطوفين، وداد حلواني، مع والدة المفقود ماهر قصير، مريم سعيدي، أمام الكاتب الزميل نصري الصايغ الذي أدار حواراً نقلته الشاشات اللبنانية، على مدى ساعتين، وحكى عن «ناس في لبنان، ضد العنف، ومع توسيع ثقافة السلم، وعن أولادنا الذين يطمحون إلى لغة وطن، وانفتاح على الآخر، لغة أمان للبنان.. لا لغة قتال».

وبعده تحدثت حلواني عن أهالي المفقودين والمخطوفين، «وهم أبطال السلام، إذا ما وجد الأبطال، وإذا ما وجد السلام». ورددت حلواني «يمكن أن نبلع دموعنا، لكن من يضمن ألا يحمل المستقبل دموعاً كثيرة على مفقودين جدد»؟

وتتحدث حلواني لـ«السفير» عن «حق معرفة مصير ٢٣١٢ مفقوداً، المؤكد أننا سنعرف». تزداد نبرة حلواني حدة كلما حكت عن الانتظار الدائم، وعن طمس القضية وتجاهلها، وكلما حكت عن مفقودين خرجوا، خطفوا، ولم يعادوا. تقول «إن المعضلة الأساسية في قضيتنا أن مرتكبيها هم أنفسهم في الحكم اليوم، لكن هذا لا يعني أن نتخلى عن حقنا بدفن موتانا إذا ماتوا، أو استرجاعهم إذا ما كانوا على قيد الحياة». وتكرر حلواني: «عاجلاً أم آجلاً سنعرف مصيرهم، لا أحد يستطيع أن يتنصل من المسؤولية، الجثث بدأت تخرج من تحت الأرض، من المقابر الجماعية». ثم تعود حلواني لتحكي عن الأمل «بعد إصدار مذكرة تطالب بتشكيل هيئة وطنية مستقلة تكون مسؤولة عن استلام الملف، وبعد مناقشتها مع وزير الداخلية زياد بارود وتبنيه لهذا الطرح، كما تمت مناقشتها مؤخراً مع وزير العدل إبراهيم نجار الذي تبناها ووعد بإحالتها فوراً إلى رئاسة مجلس الوزراء لتدرج على جدول أعمالها».

أما أمهات المفقودين والمخطوفين بين الجمهور، فلديهم دوماً كل الرغبة في مزيد من الكلام عن أبنائهن، مهما طال أمد قضيتهن. يسألن: «أين هم؟ لماذا خطفوا؟ هل هم على قيد الحياة؟ هل هم تحت الأرض؟ هل كثير علينا أن نعرف.. أن نعرف فقط»، تقول الحاجة الجالسة في المقعد الأخير. الكلام ليس جديداً، لكنه يجب أن يخرج، أن يعاد حروفاً، لئلا يكرر أفعالاً.

بدورها، تقف مريم سعيدي، في بداية مقابلتها على الهواء مباشرة، لتوجه «تحية إلى كل أم توفيت وهي تنتظر ابنها»، ثم تخرج بكلمات صارمة واضحة: «بدنا أولادنا، بدنا ندفنهم، بدنا نرش عليهم ورد.. أي خاطف يتجرأ الآن على الخروج إلينا ويعترف بفعلته؟..».

في الفقرة التالية من البرنامج، يحكي رئيس جهاز الأمن الأسبق في «القوات اللبنانية»، أسعد الشفتري، عن الماضي الذي كان المسيحي فيه يخشى المسلم، والمسلم يخشى المسيحي، ليتحول الكل إلى خائف من الكل، ثم ينصب كل فرد نفسه مدافعاً عن طائفته أو دينه.. ويعود ليعلن: «لكن ديني لا يطلب مني أن أقتل الآخر، والله ليس بحاجة لي لأدافع عنه..». يعرف الشفتري حاضره وتوبته: «أنا اليوم خادم صغير لوطني، في الماضي كنت مسؤولاً، واليوم أنا مواطن عادي».

في الفقرة الثالثة، عُرضت شرائط مصورة نفذتها وسائل الإعلام المرئية اللبنانية، تحذر من الحرب الأهلية وتدعو إلى تحصين السلم الأهلي. وعندما حان موعد نقاش دور هذه الوسائل في هذه الدعوة، من خلال ما تقدمه، والقوالب التي تقدّم فيها الأخبار والأحداث، خرج إلينا بعض الزملاء بمداخلات سريعة عن «براءة» الإعلام من أي انحياز وأي دور في تجييش الشارع تحت عنوان «الإعلام لا يتحمل مسؤولية ما جرى، نحن ننقل الخبر فقط ولا نخترعه».

أما الفنان جورج خباز فألقى وصية المواطن اللبناني غصيبة كيروز، التي كتبها قبل أن يُقتل عند حاجز، ويروي فيها حدسه بمصيره، مكرراً: «أهل البيت بيختلفوا بس ما بيحقدوا، بيتزاعلوا بس ما بيتخاصموا».

أما الفقرة الأخيرة من نهار أمس، فكانت مداخلات لرجال دين من الطوائف اللبنانية كافة، تدعو إلى الرقي في المواطنية، وتنقية الذاكرة، التعصب ضد التعصب.. لأجل لبنان. كما قرأ هؤلاء بصوت واحد دعاءً مشتركاً «ليتم إنقاذ لبنان واللبنانيين من ازدواجية الخطاب والسلوك، وتعلم الحوار وحل المشاكل من دون اللجوء إلى العنف، وصون الإيمان بالدولة، وتبصر الخيط الفاصل الدقيق بين الدين والسياسة حتى يسلم الدين وتستقيم السياسة ويحيا لبنان».

نهار تجمع «وحدتنا خلاصنا» الطويل ينتهي بعدما كان قد انطلق عند الثامنة والنصف صباحاً مع تجمع لمئات المشاركين من الأطفال والشباب عند سلالم المتحف، قبل انطلاقهم وفوداً لزيارة أكثر من ٣٠ حزباً وحركة سياسية للحصول على تواقيعهم على وثيقة للانتخابات النيابية المقبلة، تدعو إلى «انتخابات شفافة، تحترم نتائجها مهما كانت»، وتشدّد على التقيد بالنظام العام وعدم استغلال واقع الناخب، والموارد الحكومية، والالتزام بنزاهة الانتخابات، والتأكيد على نبذ العنف، واحترام القوانين وتطبيقها، ودور الصحافة ومراقبي الانتخابات».